



الحجاج والمساءلة لدى ميشال ماير (النظرية الخطابية في ضوء علم الأشكلة)
Argumentation and Questioning in Michel Meyer
(Rhetorical Theory in Light of Problematics)

نادية وبدير¹

n.ouiddir@univ-boumerdes.dz

تاريخ النشر: 2026/03/15
Received: 28/09/2025

تاريخ الاستلام: 2025/09/28
published: 15/03/2026

ملخص:

تطرح هذه الدراسة مجموعة من التساؤلات تتصل بالقيمة المضافة للحجاج التساؤلي في سياق النظريات الحجاجية الرهنة، وينصرف اقتزان الفكر التساؤلي بالحجاج إلى بيان خلفيّة نظرية المساءلة وبعدها الإيديولوجي. تم توزيع مادة هذا البحث على سبعة عناوين كبرى تتخللها عناوين فرعية تشمل خلفيّة ماير الفلسفية ومنطلقاته المعرفية، إضافة إلى مفاهيم ومكونات وتقنيات الحجاج التساؤلي، وقد توصلنا إلى أنّ فلسفة المساءلة والاستشكال، وعلاقتها بالحجاج، هي فلسفة ما بعد حداثة تطمح إلى التفاوض والتعايش غير أنّها تخفي نواحي إيديولوجية لا تظهر للعيان. كلمات مفتاحية: الحجاج التساؤلي، علم الأشكلة، التفاوض، التعايش.

Abstract:

This study raises a series of questions related to the added value of interrogative argumentation in the context of current argumentation theories, and the association of interrogative thinking with argumentation serves to clarify the theoretical background of accountability and its ideological implications.

The material of this research is divided into seven main sections, interspersed with subheadings covering Meyer's philosophical background and epistemological premises, as well as the concepts, components and techniques of interrogative argumentation. We have concluded that the philosophy of accountability and questioning, and their relationship to argumentation, is a postmodern philosophy that aspires to negotiation and coexistence, but conceals ideological aspects that are not apparent.

Keywords: Argumentation Questioning ; problematology ; negotiation ; coexistence

(1) جامعة محمد بوقرة بومرداس (الجزائر) ..

مقدمة:

يُعدّ الفيلسوف واللساني البلجيكي ميشال ماير أحد معالم المشهد الفلسفي الغربي المعاصر، خلق بقناعته الحجاجية الفلسفية مكانته بين معاصريه من اهتموا بالدّرس الحجاجي المعاصر على منوال شاييم بيرلمان، لوسي ألبريخت تيتكا، ستيفن توملين، أوزفالد ديكر، أنسكومبر، وغيرهم، وترك بصمة فلسفية تساؤلية على النظرية الحطائية من خلال ربطها بعلم الأشكلة وانفتاحها على العلوم الإنسانية والفلسفية والتداولية والتأويل والتواصل.

يتصل الاشتغال الحجاجي عند ماير بالتأليف بين الخطابة الأرسطية في حلتها البرلمانية الجديدة، والبعد التأسيسي التساؤلي للفلسفة في أصل نشأتها اليونانية الأولى، ومن ثم يصطبغ الدّرس الحجاجي الماييري بصبغة فلسفية تساؤلية سعى الفيلسوف، بواسطتها، إلى استنطاق مقولة الحجاج على هيئة مساءلة فلسفية أسفرت عن فك الانغلاق الحطائي من قيد الوظيفة الكلاسيكية (الإذعان)، التاجمة عن غاية الخطابة الأثينية، وتلح على إلزامية انفتاح الحجاج على فضاء إبستمولوجي أرحب، أفرزته مقتضيات الزاهنين المعرفي والإيديولوجي، والإيمان بـ «التفاوض» و«التعايش» مظهرين من مظاهر المساءلة الحجاجية وغايتها القصوى.

تتمحور إشكالية هذا البحث حول الكشف عن نظرية المساءلة من جهة مرجعيتها الفلسفية، ودوافعها الإبستمولوجية، وأسسها ومبادئها، وعلاقتها بالخطاب الحجاجي بكل أبعاده، وغاياتها الإيديولوجية المضمرّة، وبناء عليه نفترض تظهر الحجاج التساؤلي الماييري بمظهر سلمي عنوانه التفاوض والتعايش إلى أنه، في حقيقته، يخدم إيديولوجيات معينة. ومن ثم، تصبوا هذه الدراسة إلى الطبيعة الإيديولوجية للحجاج في علاقته بالمساءلة والاستشكال. ويرتكز البحث على المقاربة التساؤلية للحجاج في ضوء علم الأشكلة في إطار المحاور الآتية: الخلفية الفلسفية للحجاج التساؤلي ودوافعه المعرفية، مقومات المنهج التساؤلي، مفهوم الحجاج بوصفه مساءلة ومفاوضة للمسافة، أركان الحجاج التساؤلي ومكونات القول الحجاجي.

المرتكزات الفلسفية لنظرية المساءلة

استند ماير، في بناء نظريته الحجاجية الفلسفية التساؤلية، على مرتكزات فلسفية أسهمت في عودة الدّرس الحجاجي إلى الساحة الإبستمولوجية، على غرار، أزمة العقلانية الأوروبية الناجمة عن وموت الكوجيتو الديكارتي، من جهة، و (الطلبية، 2008، صفحة 134) "تراجع التساؤل إلى مواقع خلفية وعدم الاهتمام كما ينبغي بإنسانية الإنسان وأسئلته الوجودية" من جهة أخرى. انطلق الفيلسوف في مشروعه الفكري من قناعة مفادها أنّ الانهيارات التي عرفتها العقلانية الأوروبية في القرن المنصرم أسفرت عن العدمية (Nihilism) والتشيؤ (Relication) والحرب لذلك يهدف ماير إلى توضيح معالم الميتافيزيقا المعاصرة من خلال تأكيده على أزمة الفكر الغربي المعاصر وخلفيته الفلسفية.

إنّ مرد أزمة العقلانية الأوروبية في تصوّر ماير هو انبناء المنطق الأرسطي على فلسفة صارمة في تقديس العقل وعدّه المصدر والأصل الوحيد للمعرفة. يشغل المنطق الأرسطي وفق مبادئ العقلانية: مبدأ الهوية: (أ هو أ)، مبدأ عدم التناقض: (أ ليس لا أ)، مبدأ الثالث المرفوع: (لا يوجد وسط ثالث بين أ ولا أ) انغرست في صلبها منذ أرسطو. ومن ثم، بقيت "العقلانية الأوروبية مشدودة إلى وهم الذات الخالصة، أي إلى أوهام الانسجام والإطلاقية والاكتمال، لذلك عرفت أزمتهما" وهو ما أشار إليه ماير بقوله: (Meyer، 1986، صفحة 133) "la raison occidentale est en crise".

1.2 تصدّع الكوجيتو الديكارتي:

ارتبطت أزمة العقلانية الأوروبية بموت الذات الديكارتيّة المؤسسة للكوجيتو (Le Sujet Cartésien) «أنا أفكر إذن أنا موجود»، والذي سعى ديكارت من خلاله إلى (القارصي، 2011، الصفحات 388-389) "إثبات وجود الذات من حيث هي موجود مفكّر والبرهنة على وجودها بفعلها الذي هو الفكر لأنّ التفكير يفترض الوجود حتماً". فقد تعرض الأنا الديكارتيّ إلى ضربات فلسفيّة أسفرت على تقويضه وموته وكان ذلك ب (حدادي، 2019، صفحة 10) "الثورة على العقل والذات والوعي، باسم التجريب، والجدل، واللاشعور، والاهتمام بالمخاطب" على غرار فلسفة العدميّة والقوة ل فريدريك نيتشه (Friedrich Nietzsche) والفلسفة الماديّة ل كارل ماركس (Karl Marx) والتحليل النفسي ل سيغموند فرويد (Sigmund Freud)، وغيرها. مما تسبب في انهيار الكوجيتو.

لم يكن نيتشه مجرد متابع لديكارت، بل كان ناقداً قوياً لأفكاره، خاصة فيما يتعلّق بالعقل والأخلاق. فقد وجه نيتشه انتقاده الشديد للعقلانية والأخلاق التقليديّة التي قال بها ديكارت، وشكك في كل القيم والمعتقدات الراسخة، وإذا كان ديكارت يؤمن بالعقل وسيلة أساسية للمعرفة، فنيتشه يعتبر العقل محدوداً وغير قادر على الوصول إلى الحقيقة المطلقة، بل هو أداة لقمع الرغبات والإرادة، وعليه تُسهم العقلانية الديكارتيّة في تعطيل الفهم الحقيقي للحياة والإنسان وتتغاضى عن جوانب أخرى للإنسان كالعاطفة والإرادة لذلك يسميها نيتشه «فلسفة وهم العقل الخالص».

وزيادة على الفلسفة النيتشويّة تُشكّل فلسفة ماركس المادية ضربة أخرى ليقينيّة ديكارت إذ تُعدّ الفلسفة الماركسيّة ذات توجه مادي وتاريخي واجتماعي يتناقض وذاتيّة ديكارت. كما يتناقض ماركس وديكارت منهجياً. فإذا كان الثاني يعتمد على العقل والتفكير المجرد فإنّ الأوّل يركّز على التحليل المادي للتاريخ، وعليه يبحث عن الحقيقة من خلال تحليل التغيّرات الاجتماعيّة والاقتصاديّة في حين اتّبع ديكارت طريق العقل في بحثه عن الحقيقة.

ومن جهته يُمثّل التحليل النفسي هجمة أخرى تعرض لها الكوجيتو الديكارتيّ حيث أقرّ فرويد دور اللاوعي في تشكيل سلوك الإنسان ويكون بذلك متعارضاً ومركزيّة الفلسفة الديكارتيّة القائمة على الوعي واليقين، أي أنّ الفيلسوفين يختلفان في نظرتهما إلى طبيعة العقل والواقع، يركّز ديكارت على الوعي كأداة للمعرفة واليقين، ويعتبر فرويد الوعي مجرد غلاف خارجي للعديد من العمليات الداخليّة اللاوعيّة، أي أن الوعي هو حيّز صغير من العقل حيث توجد قوى لا واعية تؤثر في سلوك الإنسان وهذا ما يتعكس مبدأ الهوية الأرسطي.

ويسقوط الكوجيتو تحت الضربات المتتاليّة التي ألحقها به كل من ماركس ونيتشه وفرويد. انهار التّصور للإنسان (القارصي، 2011، الصفحات 388-389) "باعتباره أساساً وفقد كل مشروعية تأسيسية وبانهياره فقد الوعي دوره التأسيسي كذلك، وتولّدت عن كل ذلك إشكالات تتصل بالعقل وما يتفرّع عنه لأنّ كلّ جواب يظل فاقداً لمعناه على مستوى وعي الجيب وخطابه". ومن هنا كانت خلفيّة مايير وعيه الحاد بأزمة العقل الغربي.

ومن مظاهر رفض تصلّب العقلانية الأوروبية وفضح وهم الذات الخالصة ما قام ميشال فوكو (Michel Foucault) في مشروعته الأركيولوجي الذي فضح فيه المناطق المسكوت عنها في الحضارة الغربية كالجنون والسجن والجنسانية، كما كشفت تفكيكيّة جاك دريدا (Jacques Derrida) عن فلسفة الاختلاف التي انتقدت أحادية العقل الغربي، ومن جهتها قرّمت البنيويّة الذات المتعاليّة وجعلتها مجرد عنصر ضيق مقارنة بالعناصر أخرى.

امتدت القطيعة مع ديكارت في منتصف القرن العشرين إلى حقل الخطابة حيث أسس بيرلمان (Chaïm Perelman) نظريته الخطابية انطلاقاً من تجاوز تصوّر العقل والاستدلال عند ديكارت، (بروتون و جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، 2014، صفحة 44) "ولم يعد يعتبر العقلانية

إلا في البرهان الذي ينشر وضوح المسلّمات المقرّرة على كل القضايا المطلوب إثباتها"، وعليه يرفض بيرلمان في مشروعه إرجاع كل ما يُمكن إحصاؤه، وما لا يُمكن كذلك، إلى العقل البرهاني، منطلقا من المبدأ القائل: (بروتون و جوتيه، 2014، صفحة 44) "إنّ فكرة الوضوح، التي تعتبر صفة العقل، هي التي يجب مناقشتها، إذا أردنا أن نقيم مكانا لنظرية الحجج تقرر استخدام العقل من أجل التّحكم في فعلنا، ومن أجل ممارسة التأثير على أفعال الآخرين".

وفي السياق الحطّابي أيضا، ينحو أوليفي ريبول (Olivier Reboul) ورولان بارت (Roland Barthes) منحى بيرلمان في عد صرامة العقلانيّة ورفضها للمحتمل (بروتون و جوتيه، 2014، صفحة 21) "مصدرا للصعوبة التي واجهتها الحطّابة في الاحتفاظ بموقع مركزي في أنظمة الفكر الحديثة ووصفا هذه المرحلة بأنّها مرحلة المواجهة بين ثقافة الوضوح ذات النزعة الوضعيّة، وثقافة الحجج التي ترى أنّ صعودها يُعرفه أقول يتعلّق بالمظهر الجمالي للخطاب وليس بالمظهر الحجاجي". وهذا يعني أنّ الرؤية الحطّابيّة الجديدة قامت على أنقاض العقل الديكارتي.

وإزاء هذا الوضع الفلسفي المخصوص انصرف ماير إلى بناء مشروعه الذي يريده تجاوزا للراهن الفلسفي بدءا من مراجعة تاريخ الفلسفة من منظور جديد-قديم، يقول: (Meyer, 1986, p. 8) "اليوم مع موت الذات المؤسسة اختلفت الأمور (عما كانت عليه) فلم يعد من الممكن التفلسف دون أن نعيد التمشي من الأساس"، أي العودة بالفلسفة إلى وظيفتها التأسيسية الأولى (المساءلة) لأنّ الذات المتعالية لغت المساءلة.

2.2 انحسار الوظيفة التّساؤليّة للفلسفة:

يرى ماير أن الفلسفة بعد سقراط تملّصت من وظيفتها التأسيسية، أي المساءلة. فالفلسفة التي تأسست بوصفها «مساءلة» (Questionnement) تأسيسية لم تعد تنشغل بسؤال السؤال التأسيسي الذي يُمثّل جوهرها. أي أنّها لم تعد، منذ أرسطو، فلسفة استشكاليّة (Problématologie) تُعنى بدراسة المساءلة. وقد اقترنت نشأة السؤال بميلاد الفلسفة اليونانية لدى كل من سقراط وأفلاطون وأرسطو):

يُعد سقراط أول فيلسوف تمكّن من بلورة (حمداوي، 2019، صفحة 13) "السؤال الفلسفي الإشكالي بشكل جدلي عميق، يطرح مجموعة من الأسئلة الجدلية التأسيسية لبناء المفاهيم والمهيات والمعارف (السياسة والأخلاق وغيرها) بناء، جديدا، مدافعا عن الفلسفة باعتبارها المسلك العلمي الصحيح للوصول إلى الحقيقة"، وقد مثّل السؤال عند سقراط مبدأ حقيقيا للمعرفة، يرمي، من خلاله، إلى الهدم السفسطائي الذي يزرع الشك والظن بين الناس، وكان مسعا في ذلك هو (حمداوي، 2019، الصفحات 13-14) "البناء الفلسفي عن طريق الحوار، والجدل، والتّعريف، والاستدلال، وتحويل الأجوبة إلى أسئلة تأسيسية توليدية"، أي بالاعتماد على السؤال والعقل والجدل التوليدي والبرهان المنطقي. ومن ثم، تنفرد فلسفة سقراط بالحوار التّساؤلي التوليدي. وتستند هذه الحوارية السقراطيّة على التّساؤل الإشكالي، والتهكم الساخر. وهكذا حاول سقراط إعادة بناء المفاهيم المعرفيّة والمجتمعية على أسس عقلية موضوعية سليمة ودفع اليونانيين إلى التّجرّد من المفاهيم الخاطئة التي تمثلوها عبر العادات والتقاليد والأعراف، ودحضها بالمنطق والحجج.

إنّ انغماس سقراط في تقصي المعرفة المنطقية الموضوعية جعل ماير يُقرّ بأسبقية وتفوّده في الاهتمام بفلسفة المساءلة التي بلغت مرحلة حاسمة في عهده ف (القارصي، 2011، صفحة 390) "عملية التّفلسف عنده لا تعني إلاّ المساءلة لأنّ الإجابة لا تُمثّل إلاّ مستوى ظاهر وعليه، فأسئلته تطرح لتكشف الجواب المتوّهم لدى المخاطب وهي لا تنتظر جوابا غير ممكن ما قبلها نظرا لتعدّد الحلول التّظرية للإجابة عن السؤال الواحد". وبهذا يكون سقراط هو المؤسس الحقيقي للفلسفة التّساؤليّة من منظور ماير.

وإذا كان سقراط لا يبحث عن أجوبة لأسئلته، وهذا ما يُجَدِّد تصوُّره للمساءلة، فإنَّ أفلاطون يهتم بالجواب أكثر من اهتمامه بالسؤال حيث ظهرت الفلسفة الأفلاطونية من (القارصي، 2011، الصفحات 390-391) "الحاجة الملحة لتقديم الأجوبة. فغاية أفلاطون هي البحث عن الحقيقة والمعيار الذي يُشرِّع الجواب المثبت هو معيار قضوي (Propositionnel) متصل بمعرفة الأشياء في ذاتها بما هي جواهر". ويتأتى الجواب في فكر أفلاطون من (القارصي، 2011، الصفحات 390-391) "عالم المثل والأفكار فيتم إقصاء الإشكال بجميع أنواعه ويبقى للسؤال دور بلاغي بحت وبالتالي سفسطائي". وقد كان أفلاطون معروفا بمعداته للسفسطائيين إذ انتقد بشدة عدم سعيهم وراء الحقيقة الموضوعية واكتفائهم بخدمة المنافع الذاتية والمصالح الضيقة وهذا ما يعني أنَّ السؤال لديهم لا يُؤدِّي إلى الحقيقة المنشودة لذلك فالأفكار، في مذهب أفلاطون، واضحة والتعبير عنها بيّن جلي يعني عن السؤال.

وبالرغم من ذلك، طرح أفلاطون أسئلة تأسيسية متنوعة في خمسة وثلاثين حوارا تساؤلًا تناول فيها، أي الحوارات، موضوعات عديدة مثل الحكمة، والسفسطة، والأفكار، والوجود، والفلسفة، والمعرفة، وغيرها. مما يُثبت خوض أفلاطون في مختلف المجالات الفلسفية التساؤلية، مثل: الميتافيزيقا، والأخلاق، والسياسة، والجدل، والجمال، والسفسطة، وغيرها.

إنَّ ما يميِّز به أفلاطون في حواراته التساؤلية هو السؤال الجدلي الموروث عن سقراط حيث أعطى الفيلسوف المثالي للجدل أهمية كبرى في معرفة الحقيقة. فالجواب عنده يتحوَّل إلى سؤال حواري جدلي بامتياز مما يجعل الحوار الأفلاطوني (حمدوي، 2019، الصفحات 20-21) "يُتَّصف بالخاصية التساؤلية السقراطية، أي التوليد، والتنازل، والتضمن، وتصحيح للمعارف والمسلمات" وهكذا، يتبيَّن أنَّ أفلاطون قد تمثَّل السؤال الجدلي منهجا حواريا في بناء المعرفة الفلسفية.

من ناحيته، يُؤمن أرسطو بتبعية السؤال للجدل ويعتبره صورة من صوره المتعددة ويُعدَّ المعلم الأول من أهم الفلاسفة اليونانيين الذين (القارصي، 2011، صفحة 391) "بنوا السؤال الفلسفي على معطيات منطقية من جهة، ومعطيات جدلية من جهة أخرى"، ويرى في الجدل مجرد منهج افتراضي يصل إلى نتائج افتراضية، مادام يقوم على الفرضيات المشهورة.

أسفرت مراجعة مايرير للفلسفة اليونانية، فيما يتصل بمنشأ السؤال الفلسفي، على عدم اهتمام الفلاسفة اليونان بفلسفة السؤال. فالفلسفة اليونانية التي طرحت مجموعة من الأسئلة حول المعرفة، والمجتمع، والأخلاق، والميتافيزيقا، والجدل، والمنطق، لم تهتم بأشكلة السؤال، وهذا ما أوقعها في مفارقة مفادها أنَّ (القارصي، 2011، صفحة 391) "الفلسفة التي تأسست بوصفها مساءلة تأسيسية لم تطرح على نفسها البتة سؤال السؤال التأسيسي الذي يمثل جوهرها. أي أنَّ الفلسفة منذ أرسطو لم تكن فلسفة أشكلة تعني بدراسة المسألة" وبالارتكاز على هذه القناعة الفلسفية سعى مايرير إلى تأسيس علم الأشكلة في مؤلفه «De la Problématologie» وعدَّ السؤال أصل الفلسفة ومنشأه. لذلك أقرَّ أنَّ (اللطف، 2013، صفحة 104) "ممارسة الفلسفة تعني الاستشكال الأمر الذي يعني الابتعاد عن المعرفة القضائية والأجوبة القبلية. فالمساءلة والاستشكال هما اللذان يفتحان للفلسفة طريق البحث والاكتشاف" ويمنحان للفكر المايريري شكل وقوة الموقف الفلسفي التساؤلي.

المنطلقات المعرفية لنظرية المساءلة

تُصنَّف نظرية المساءلة ضمن النظريات المعاصرة في مجالي الفلسفة وعلم الحجاج. طوَّر مايرير رؤيته الفلسفية التساؤلية انطلاقا من أسس معرفية تتجلى في: الطبيعة التساؤلية للتفكير البشري، السؤال أصل المعنى، الطابع التساؤلي للغة.

1.3 الطبيعة التساؤلية للتفكير البشري:

تتمحور نظرية المساءلة لدى مايير حول إشكالية مركزية تتمثل في الطبيعة التساؤلية للتفكير البشري أي أن الفكر الإنساني لا تحكمه طبيعة الجواب بقدر ما تحكمه طبيعة السؤال. بهذا يكون العقل البشري عقلا مسائلا بالضرورة. حيث تمثل الإشكالية منبع التفكير ومبدأ التواصل البشري.

يتميز التفكير الإنساني لدى مايير بميزتين: إمكانية طرح الأسئلة، والقدرة على الاستشكال. (مايير، 2020) "إنّ ما يفرض نفسه كأول في التساؤل حول ما هو أول إنّما هو المساءلة نفسها، وذلك من خلال السؤال العام الذي يتم طرحه. لهذا السبب تكون المساءلة مبدأ الفكر نفسه. وهذا يعني أن قدرة الإجابة، تعني، قدرة الإجابة عن نقطة البداية نفسها، إجابة تحيل على السؤال الضمني. أي على المساءلة". وحتى يكون هذا الانتقال نافعا، يرسم الفيلسوف مسافة بين الأسئلة والأجوبة. ويرى أنّ الأجوبة ليست قضوية، أي ليست قبلية ولا تحصيل حاصل، إنّها خلق باستمرار ولذلك ف (اللطيف، 2013، صفحة 105) "الجواب لا يعني إغلاق البحث. ثم إنّ الأسئلة هي غير الأجوبة، وإلا كان الفكر حلقة مفرغة على غرار ما يتم في الاستنباط الصوري. كما عدّ مايير الإشكالية المنطلق الذي يدفع الإنسان إلى البحث عن الأجوبة، مما يربط العملية الحجاجية بالسياقات الإشكالية الذي ترد فيها الخطابات.

إنّ العلاقة بين المساءلة (Le questionnement) الاستشكال (Le questionnement) هي علاقة تطابق وتماهي (مايير، 2020) "إنّ التفلسف يشتمل على ممارسة السؤال وعلى الأشكالية". فكل سؤال هو في الحقيقة عائق أو معضلة، أي إشكال، وبالتالي فهو سعي إلى إيجاد حل على أرض الواقع.

2.3 السؤال أصل المعنى:

عكس مايير ما جاءت به معظم النظريات التقليدية التي ركزت على الإجابات بوصفها الهدف الأسمى للخطاب، سواء في تحليل النصوص أو في المنطق أو غيرها وكان ذلك بالتركيز على تصوّر فلسفي يؤمن بالسؤال أصل المعنى ومادته الأولى. فالمعرفة كانت، ولا تزال، محاولة دائمة للإجابة عن أسئلة مطروحة، أي عن مساءلات مستمرة. يقول مايير: (Meyer، 1986، صفحة 305) "إنّ الإقرار بالمساءلة كأساس يعني الإقرار ونهائيا بأنّ الأسئلة وحدها هي الأصل، مما يعني انفتاحا متعددا على الأجوبة". وبذلك يحقق السؤال للمعرفة البشرية خاصية التعدد والانفتاح. (اللطيف، 2013، الصفحات 105-106) "فالسؤال يولد خيارات متعدّدة في الجواب، وهذا الأخير ليس ناجزا قارا بل هو امتدادات لا تفتأ تنفتح وتتطور وتنتج البدائل. لذلك فوحدة الاستشكال تمنح للثقافة المعاصرة تعدد المعاني" في حين تحصر الإجابة المعرفة الإنسانية وتغلق إمكانية اتساع الفكر.

من هذا المنظور التساؤلي تتمثل كل أنواع الخطابات في فلسفة مايير إجابات عن أسئلة إشكالية محدّدة ومن ثم، "لا يقتصر السؤال على الخطاب الفلسفي فقط، بل يشمل حياتنا كلها، أي جميع الخطابات والنصوص (أدبية، أو علمية، أو غيرها) باعتبارها خطابات حجاجية تساؤلية استشكالية. لذا تُعدّ الأسئلة أهم من الأجوبة.

3. الطابع التساؤلي للغة:

أسفر الاعتقاد بالطبيعة التساؤلية للفكر لدى مايير عن جعل اللغة تساؤلية بطبيعتها وهذا يعني أنّ المساءلة سمة أصلية في اللغة وأساس كل الإنجازات القولية، وكل المبادلات الكلامية. (Meyer، 1986، صفحة 238) "فما دام اللوغوس مكوّنا من أسئلة وأجوبة، فهذا يعني أنّ النشاط الخطابي ليس إلا مسارا للمساءلة". إنّ اللغة ترجمة للسؤال وحل لما هو إشكالي. وهذه السمة الاستشكالية هي من صميم النشاط البشري، (اللطيف، 2013، صفحة 106) "فالتناس يعيشون ويتحركون بالارتباط مع المشاكل والأسئلة التي تطرح عليهم أو يلاقونها، مما يجعل

من استعمال اللغة معالجة/حلا للمشاكل". من هنا يكون منطلق ماير لغويا خطابيا يتماشى وخلفيته الفلسفية، فالخطاب عنده (Meyer، 1986، صفحة 203) "إفصاح بلاغي بواسطة الكلام، والكلام ليس سوى عملية مساءلة، واستعمال الكلام الحامل لقدرة الفكر على المساءلة بعد فعل التفكير".

إنّ بناء ماير تصوّراته على اللغة والفلسفة والنظرية الخطابية المعاصرة ومختلف نظريات المعنى، جعل تصوّراته ذات أبعاد مختلفة:

- تداولية: تبحث في ظروف إنتاج الخطاب. من خلال الوصل بين الخطابة الجديدة والتداولية.
- تأويلية: تُحقّق علاقة السؤال بالجواب تعددية دلالية وتفتح باب التأويل.
- خطابية: ربط الخطابة بالحجاج وربط الحجاج بكل أصناف الخطابات.
- تواصلية: تطمح نظرية المساءلة إلى تحقيق التواصل من خلال إقرار مبدئي «التفاوض» و«التعايش».

مقومات المنهج التساؤلي

يرتكز المنهج التساؤلي على مبدئين، مبدأ «الافتراض القولي» ومبدأ «التباين الإشكالي»:

1.4 الافتراض القولي:

يعتقد ماير أنّ كل الأقوال في عمليّات التخاطب يحكمها مبدأ «الافتراض» (la supposition) الذي يقوم على الشائبة (سؤال/جواب) وعليه، فكل قول هو تمثّل افتراضي لفكرة معيّنة في سياق التخاطب مما يعني أنّ الأقوال هي أجوبة عن أسئلة مفترضة سابقة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، أسئلة لأجوبة مفترضة لاحقة، وبذلك يكون «الافتراض» حركة ديمومة (سؤال/جواب/سابق/لاحق) تخلق ترقّبا (ترصّدا) مستمرا، متعدّدا ومختلفا، يُدير التواصل الإنساني انطلاقا من جملة من العوامل تتحكّم في العملية التواصلية كالسياق والخلفية الثقافية للذوات المتكلمة وقدراتهم الذهنية وتجاربهم الذاتية وطاقتهم التخيلية والتأويلية، وبهذا (عشير، 2006، صفحة 196) "يُعبّر الافتراض عن انتظارات متعدّدة ومختلفة تقتضيها العلاقات الإنسانية لتحقيق أهدافها ومراميتها".

2.4 التباين الإشكالي:

تتميّز الأقوال في فلسفة ماير بـ «التباين الإشكالي» (déférence problématique) ومؤداه أنّ الأقوال (الأسئلة والأجوبة) هي (عشير، 2006، صفحة 196) "تباينات تحكّمها ضرورات ترتبط بالمعارف والخلفيات السياقية والثقافية التي يتوقّر عليها الذهن البشري، ويبنى بها تفكيره الخاص" وهذه التباينات القولية تتمظهر، لسانيا، من متكلم لآخر.

يلعب التباين الإشكالي لدى ماير دورا محوريا في العمليّات التخاطبية لأنّه يُبرز الاختلافات الثقافية بين المتكلمين ويمنح الخصوصية لتفكيرهم ومعتقداتهم من خلال إظهار المفارقات القائمة بين الأقوال، أي بين الأسئلة والأجوبة الافتراضيتين (السابقة واللاحقة) التي يمتاز بها التفكير البشري ويتواصل بها، قوليا، في علاقته التحوارية مع الآخرين.

إلا أنّ الإقرار بالمفارقات القولية وأهميتها في العملية التواصلية لا يعني أنّ (عشير، 2006، صفحة 197) "الإنسان يتواصل، لأنّ كل شيء بالنسبة إليه محط اختلاف مع الآخر أو لأنّ كل شيء جلي وواضح، وإتّما يتواصل بهدف إيجاد القواسم المشتركة التي تفرضها الطبيعة التواصلية الإنسانية" من خلال طرح أسئلته ومشاكله بحثا عن تفسير الأشياء الغامضة وحل الإشكالات المعلقة.

إنّ التوليف بين الافتراضات القولية والمفارقات الإشكالية التي تجسدها اللغة داخل الأقوال، في نظرية المساءلة، تعكس غاية الخطاب الحجاجي في تقريب التباين والرّد عن الانتظارات المفترضة وفتح المجال أمام اختلافات وافتراضات أخرى مما يُؤكّد الطابع التساؤلي للتفكير

البشري. ومن ثم، فنهوض المنهج التساؤلي على التوقعات القولية والمفارقات الإشكالية يجعل من نظرية المساءلة بحثا عن الأقوال من حيث هي: أولا، إجابات عن أسئلة مفترضة، ثانياً: محاولة لتقريب وجهات النظر الإشكالية، أي النظر إلى الخطاب الحجاجي بوصفه استجابة للمساءلة وتفاوضا للمسافة.

مفهوم الحجاج في نظرية المساءلة

ترمي نظريات الحجاج الكلاسيكية، القديمة والحديثة على حد سواء، إلى التأثير في المتلقي بدءا من أرسطو (Aristote) الذي يُعرف الخطابة بأنها: (أرسطو، 1950، صفحة 29) "الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان"، وكان أرسطو يرى أنّ الخطيب هو محور العملية الحجاجية لذلك لا بد له أن يُتقن فنون الجدل، لأنّ الخطابة قائمة عليه، كما أنّه ربط بين خاصية التعبير عند المتكلم وبين غاية الإقناع، يقول: (أرسطو، 1950، الصفحات 22-23) "فالإنسان لأّته متكلمٌ مُعبرٌ يبحث بطبعه عن الإقناع ويُحاول أن يصل بكلامه إلى إقناع أكبر عدد ممكن من الناس بوسائل مستمدّة من التفكير الذي حوِي به في الطبيعة".

أما شايم بيرلمان فقد تمكّن من تنوير مفهوم المستمع الذي يعني في نظريته الخطابية (بيرلمان، 2020، الصفحات 36-37) "مجموع من يريد الخطيب أن يؤثّر فيهم بواسطة حجاجه. وهذا المجموع يذهب من الشخص ذاته حين يحاور نفسه إلى الإنسانية جمعاء"، أي المستمع بنوعيه «الخاص» و«الكويني». يتكوّن «المستمع الخاص» من شخص الخطيب وهو يحاور نفسه أو من جمع محدّد العدد في مقام معيّن، في حين يشمل «المستمع الكويني» الإنسانية جمعاء، أي كل كائن ذي عقل. ولم يكتف بيرلمان بتثوير مفهوم المستمع، بل جعله المركز الذي يدور عليه الحجاج. وهكذا أصبحت الخطابة الجديدة عند الفيلسوف تتعلّق بالخطابات الموجهة إلى جميع أنواع المستمعات. وخلافاً للحجاجين الأرسطي والبرلماني يذهب ماير في الحجاج مذهبا فلسفيا، يرتبط بالمساءلة والتفاوض، ويُؤسّس مفهومه للحجاج على معطيات فلسفية لغوية مؤكّدا، بالرغم من مرجعيته البرلمانية، على توجّهه الفلسفي المعرفي في اعتبار الخطابة خادمة للفلسفة؛ يقول (MEYER, 1993, pp. 142-143) "فاليوم يجب أن تكون الخطابة في خدمة الفلسفة لا العكس، ويجب أن تُحدّد الفلسفة موضوع الأسئلة قبل أن نأمل في إيجاد أجوبة لها" وبالتالي، فهو يربط الحجاج المعاصر بالقضايا الفلسفية الراهنة.

1.5 الحجاج استجابة للمساءلة:

لا يهتم ماير بإذعان المتلقي في العملية الحجاجية لذلك يربط الحجج بطبيعة الأسئلة ذاتها ويصبو إلى أن تكون الإجابات من صميم الإشكالية المطروحة ومدى اتّصالها بها وبالتالي، يتعذر قياس فعالية الحجة المقدّمة وجودتها في الحجاج التساؤلي. من هذا المنظور يتجاوز الحجاج في نظرية المساءلة كونه تبادلا للحجج أو محاولة تحقيق الغاية الإقناعية بين الأطراف المتنافسة بل استجابات متواصلة لأسئلة فكرية دائمة وعليه، فإنّ الحجاج التساؤلي لا يشتغل إلّا بوصفه (القارصي، 2011، صفحة 394) "ضرورة تؤدّي إلى نتيجة أو موقف لحمل الغير على اتّخاذ إزاء مشكل مطروح في سياق يُوقر للمتخاطبين مواد إخبارية ضرورية للقيام بعملية الاستنتاج المتصل بالزوج سؤال/جواب"، أي أنّه لا يُدرك إلّا في إطار الإشكالية المعروضة بحثا عن حلّها والإجابة عن الأسئلة وبناء على ذلك يكون الحجاج بالسؤال والاستشكال. فكل حجة مساءلة، وكل مساءلة، لا محالة، استشكال.

تتحقّق الطبيعة التساؤلية للحجاج بالكلام/الحوار ووظيفته التساؤلية ف (القارصي، 2011، صفحة 394) "لما كان الكلام إثارة للسؤال أو استدعاء له لزم أن يتولّد عن ذلك نقاش يوّلّد بدوره حجاجا فالحجاج لديه محايث لاستعمال الكلام لأنّ الكلام يتضمّن بالقوة سؤالا

يستمد منه دلالاته" وهي وظيفة يراها مايير ضرورية في القول لأنها تؤدي إلى نتيجة أو موقف يحمل الآخر على الإقرار به اتجاه مشكل مطروح في سياق المتخاطبين متصل بالتساؤل والإجابة.

وعلى خطى أستاذه بيرلمان الذي وسع أجناس الخطابية وأطلق الخطابة من عقلا لتفتح على جميع الخطابات الإنسانية باستثناء الخطاب العلمي الدقيق خلافا للمعلم الأول الذي حصر الأجناس الخطابية في القضائي (Judiciaire)، والاستشاري (Délibératif)، والاحتفالي (Épidictique)، فتح مايير الحجاج التساؤلي على جميع أنواع الخطابات، على اختلاف أنماطها وتعددتها، الشفوية والمكتوبة، غير الأدبية والأدبية لـ "حمل المخاطبين على تبني مواقف معينة وتحسيد ذلك الاعتقاد على صعيد الواقع عن طريق اجتهاد المحاجين في طرح قضاياهم وتساؤلهم الوجودية التي تخصهم وحدهم" بدءا من الخطاب اليومي إلى الخطاب الفلسفي، مروراً بكل أنواع الخطابات الإنسانية.

تكمن حجاجية الخطابات في بعدها الحوارية، مادامت هي أجوبة لأسئلة افتراضية يطرحها المتلقي الافتراضي. تركز الحوارية الحجاجية، في مجمل التصوص والخطابات، ولا سيما الفلسفية والأدبية منها، على تبادل الأسئلة والأجوبة، وربط الكلام اللغوي بالسياق التداولي أو المقاصدي أو الوظيفي أو السياقي. ومن ثم، تقوم تلك الأسئلة على الافتراض والأشكلة. (حمداوي، 2019، الصفحات 8-9) ويتشكل الحجاج في الخطابات وفق المقاربة التساؤلية في الخطاب بصورتين، «خطاب صريح مباشر» و«خطاب ضمني غير مباشر». "يمثل الحجاج المباشر ظاهر السؤال المطروح بينما يُشكل الحجاج الضمني الإمكانيات المتاحة للإجابة عن السؤال الواحد، أي حجم التأويلات الممكنة التي تثيرها الأسئلة التي يبني عليها الخطاب"، وبذلك يكون الهدف من دراسة الحجاج هو كشف الصلة القائمة بين ظاهر القول وضمونه ويُشكل الحجاج بصورته، (المصرح به والضمني) تفاوضا للمسافة بين الدوات المتباينة.

2.5 الحجاج مفاوضة للمسافة :

إن المسافة في نظرية مايير هي (القرصي، 2011، صفحة 398) "الطريقة التي يتعامل بها الناس فيما بينهم إزاء المسائل التي تشغل تفكيرهم، وما ينتج عن ذلك من اختلاف أو اتفاق أو تنافر أو حياد أو رغبة في التقارب، وهي مواقف تدرج في صلب الحجاج وتفترض استعمال أساليب وآليات حجاجية متعددة لتقريب المسافة"، ومن ثم، يكون مجال الحجاج المفضل لدى مايير هو الخطابة التي يُجدها تحديدا وظيفيا بأنها (MEYER، 1993، الصفحات 142-143) "مفاوضة المسافة القائمة بين الأشخاص حول مسألة أو مشكلة ما". يختلف مايير، والحالة هذه، عن أستاذه بيرلمان الذي يعتقد بمبدأ «الانخراط» (Adhésion) وليس بمبدأ التفاوض (Négociation).

يتأسس مبدأ الانخراط لدى بيرلمان على قدرة الخطيب على التأثير في المستمعين ودفعهم للتفاعل مع الخطاب، وذلك من خلال بناء روابط بين عناصر موجودة في الواقع، أي الحجج المبنية على الواقع في اصطلاح الفيلسوف القانوني، وتقديمها بطريقة مقنعة. من بينها: حجة التبديد، وحجة التجاوز، وحجة التعايش، وحجة السلطة. ويتحقق مبدأ الانخراط وفق ما يلي:

- تشييد صلات منطقية بين مكونات الخطاب المختلفة، سواء كانت هذه المكونات وقائع، أو حقائق، أو افتراضات، أو هرميات، أو مواضع، أو صفات، أو أفكار.

- توظيف أكبر قدر ممكن من التقنيات الحجاجية في الخطاب لإثبات صحة الموقف والإعلاء من درجة تسليم الجمهور إزاء القضية المطروحة.

- عدم اكتفاء الحجاج بالعمليات المنطقية والاهتمام بالنواحي النفسية والاجتماعية للجمهور من خلال الاستناد على قيمهم المختلفة ومعتقداتهم المتباينة.

- تحديد نوع الجمهور الذي يُوجّه له الخطاب ومراعاة خصوصيته وانشغالاته مما يُسهم في إقناعه.

- أما مبدأ المفاوضات، والمعروف أيضاً بـ «نموذج هارفارد للتفاوض» (Harvard Negotiation Model) (أحد أشهر الأساليب المستخدمة في التفاوض. تم تطويره من قبل معهد هارفرد للقانون، ويهدف إلى تحقيق تفاوض فعال ومرض لجميع الأطراف المتورطة) فهو يركز على ما يلي:
- الفصل بين المشكلة وأصحابها: أي عدم التعامل مع الأشخاص المتخاصمين أو المتصارعين بل مع المشكلة نفسها والتركيز على جوهر الخلاف وهذا ما يُعني عن الصدمات والهجمات الشخصية.
 - أهمية المصالح على المواقف: من الضروري على المتفاوضين الاهتمام بمصالحهم بدلاً من المواقف المتزمتة وهذا يعني استكشاف المتفاوضين احتياجاتهم ورغباتهم الحقيقية الكامنة خلف المواقف.
 - إحداه فرص متعددة: يقتضي التفاوض توليد أكبر عدد ممكن من الخيارات الممكنة قبل اتخاذ القرارات مما يساهم في إيجاد حلول مرضية للطرفين و تشجيع الإبداع.
 - استخدام معايير موضوعية: يجب أن تكون النتائج المتفق عليها مبنية على معايير موضوعية ومعترف بها. مثل القانون أو السوق، لضمان توزيع القيمة بشكل عادل بين الأطراف.

أركان الحجاج التساؤلي

ينبني الحجاج في فلسفة مايير على ركيزتين خطابيتين، الصّور الخطابية والتقنيات الخطابية، على النحو الآتي:

1.6 الصّور الخطابية:

تحتل الصّورة الخطابية في نظرية مايير مكانة بالغة الأهمية نظراً لدورها في استمالة السامع وتحريك خياله إزاء الأفكار المقدمة إليه. فهي ذات طبيعة حجاجية تساؤلية لأنها تشير إلى جزء من الإجابة، وتبقى الإجابة الكاملة متعذرة، وبالتالي (الطبعة، 2008، صفحة 136) فإنّ الأجزاء الباقية من الإجابة تتناسل منها تساؤلات عدّة، بحسب المقام والموضوع، تفتح بدورها الخطاب على العديد من الاحتمالات والآراء التي تُعدّ المشاركة الإيجابية فيها من قبل المخاطبين دليلاً على تحقّق الرسالة التي بثّها المتكلّم، "إلا أنّ العزوف عن إثارة الأسئلة يحول دون نجاح الرسالة وبناء عليه، فإنّ" (القارصي، 2011، صفحة 396) "الصّورة الخطابية إذا ما طُرحت في الخطاب فذلك يستلزم وجود سؤال ينتظر جواباً إشكاليّاً وتتأتى الإجابة بتجاوز ظاهر اللفظ الحامل، فالجواب سؤال في حدّ ذاته لأنه يُجَدّد وجهها واحداً من الجواب وتبقى بقيّة الوجوه متعلّقة بأسئلة جديدة تُطرح" وهكذا يوضّح مايير علاقة الصّور الخطابية ببنية الفكر المسائل ووظيفته.

ومن أهمّ الصّور الخطابية ذات الطابع التساؤلي في فكر الفيلسوف المجازات (Les tropes) (MEYER، 1993، صفحة 98) "تخلق المعنى وتصدّم كل من لا يشاطر المتكلم وجهة نظره، وهي إلى ذلك طريقة التعبير عن الأهواء والانفعالات والمشاعر التي هي صور من الإنسان". ويقدم مايير قراءة إشكالية للمجاز مؤداها أن حركة الفكر عند انتظام المجاز تُؤلّف بين ثلاثة مستويات: المستوى المراد وصفه ومستوى مصدر الوصف والمستوى المشترك بينهما إلا أن ما يتمظهر لسانيّاً يقتصر على المستويين الأوّل والثاني في حين تغيب الحلقة الوسطى عن التجلي اللفظي ممّا يُفضي إلى التساؤل عن عوامل الاختلاف والتماهي بين المستويين. وكمثال على ذلك نحاول قراءة جملة «الإنسان ذئب» من منظور تساؤلي.

لا يفيد التّمظهر اللساني للفظي الإنسان والذئب معرفة الحقيقة مما يُثير تساؤل المخاطب عن قصد المتكلم والغاية من اقتزان المستوى الأول (الإنسان) بالمستوى الثاني (الذئب). إنّ الشذوذ الدلالي بين المسند والمسند إليه في جملة «الإنسان ذئب» هو مرتع التساؤل الذي يدفع المخاطب إلى البحث عن الإجابة عنه ومحاولة فهم الصلة الشكلية وأصل التداخل بين الطرفين وهذا ما يُحقق الفضاء الإشكالي للمجاز. وبهذا يعتبر المجاز (MEYER، 1993، صفحة 105) "مثلا للفكر في جوهر حركته الاستفهامية وهو يتيح لكل فرد أن يضع حدا للسؤال المطروح متى شاء ذلك".

تُبعد الطبيعة المجازية للصورة الخطابية الإجابات الصريحة، وتُخلط مسارات المعنى، مما يستوجب البحث عن إمكانات أخرى وراء ظاهر السؤال. فمع الضمني يتوسّع التأويل وتتعدّد الأسئلة/الأجوبة. وعليه فالصّور الخطابية تفتح مسار التأويل من خلال بعدها الإيحائي. وكلّما توسّع التأويل زاد الحجاج وقوي .

2.6 التقنيات الخطابية:

أما فيما يتعلق بالتقنيات الخطابية فإنّ ماير يُؤسّس رؤيته الخطابية على الوسائل الإقناعية الأرسطية ويعيد قراءتها في ضوء تطوّر علوم اللغة والاتّصال.

- الإيثوس (Ethos): هو مجموع الخصال المتصلة بالخطيب والمؤدّية إلى إحلال الثقة في الجمهور ويُعبّر عنها بالأخلاق. إنّ نقطة انطلاق ماير بالاهتمام بحجج الخطيب لا تعود إلى أرسطو إنّما (بروتون و جوتيه، 2014، الصفحات 104-105) "تقتفي أثر كنتليان، الذي يجعل من البلاغة علم الفصاحة الذي يتضمّن كل حجج الخطيب وأخلاقه، حيث لا يستطيع المرء حقا الكلام من دون أن يكون إنسانا صالحا" وذلك ما أوصى به الخطابي الروماني في مشروعه عن المؤسسة الخطابية (institutions oratoire).

- اللوغوس (Logos): وهو الخطاب نفسه ويُعبّر عنه اللغويون المحدثون بـ «الرسالة» يلعب فيها الأداء اللغوي دورا حاسما في تحقيق هذه الاستمالة سواءً بجمالية الخطاب أو بسطوة الحجاج العقلي أو بهما معا.

- الباثوس (Pathos): وهو المشاعر والأحاسيس والانفعالات التي يثيرها الخطيب في الجمهور بغية اقتناعه وتسليمه بمحتوى الخطاب. وخلافا لما ورد عند أرسطو وتحديده لأوجه الاستمالة بالإيثوس واللوغوس والباتوس يحتفظ ماير بـ (MEYER، 1993، صفحة 23) "العلاقات الثنائية المؤسسة على المتكلم والمخاطب وعلاقتها حول مسألة ما" ويشترط في في العلاقة بين طرفي الحجاج أن تكون ذات أسس أخلاقية وعقلية، بحيث تكون للخطيب قدرة تأثيرية ووعي بخصوصية مخاطبيه وغاياتهم ليتمكن من صياغة التساؤلات الجوهرية الحجاجية وإقناع مستمعيه بالمشاركة الفعلية. تُمثّل العلاقة الثنائية في رأي ماير تجاوزا لخطابة أرسطو لأنّها (القارصي، 2011، صفحة 399) "تهيؤ الفضاء الأمثل لإثارة السؤال وإذكاء المسافة المستمرة القائمة على الحجاج باعتباره مفاوضة للمسافة، ويكون بهذا قد اختزل عنصر المخاطب وهو يُقرّ بأهميته وألحقه بالمتكلم كما يكون قد فرّج اللوغوس الأرسطي إلى عنصري السؤال والجواب". وعلى هذا الأساس يعيد ماير صياغة العناصر الخطابية الأرسطية في ثلاثة أركان: الأخلاق (المتكلم والمخاطب)، السؤال، الجواب.

مكوّنات القول الحجاجي

يتشكل القول الحجاجي في نظرية ماير الخطابية التساؤلية من بعض الثنائيات المتضادة، هي عبارة عن مفاهيم متقابلة يُحقّق القول الحجاجي من خلالها مساعيه التفاوضية على غرار: الافتراض واليقين، التكرار والخلق، التأثير والتضليل. (عشير، 2006، الصفحات 208-209)

1.7 الافتراض واليقين: يشترط ماير في القول الحجاجي، حتى يتلاءم والعقل المسائل، توقّره على تعددية المعاني المجازية بالإضافة إلى التباينات الإشكالية التي تتسم بها الأقوال، وهذا ما يفتح مجال الاختلاف والتعارض وي طرح الإشكال. من هذا المنظور تُعدّ الحقيقة أو اليقين في طرح ماير خطيرا إذ يُترجم إلى الدوغمائية (Le dogmatisme) التي تتحوّل إلى تعصب وصدام وعنف، في حين يُمثّل المجاز افتراضات قولية تُؤوّل إلى جدال ونقاش وتعارضات وهذا ما يضمن مبدأ التعايش في فلسفة ماير.

2.7 التكرار والخلق: يرفض ماير تكرار الحجج واستهلاكها المبتذل في الأقوال والخطابات لأنّ كثرة استعمال نفس الأدلة والآليات الحجاجية يقضي على الطبيعة الخلاقة للإنسان. فحين تُصبح "حقوق الإنسان" مثلا، حقيقة قبلية ثابتة فإنّ الخطاب الحجاجي يتحوّل إلى أداة سيطرة وتملك وتمركز، أي يقصد إلى تمرير موقف إيديولوجي معيّن نتيجة الوهم بامتلاك الحقيقة المطلقة فيسقط في التحجّر والصنمية، لذلك يُفضل ماير خلق حجج ومفاهيم جديدة باستمرار قصد الحيلولة دون الوقوع في الحقائق الثابتة.

3.7 التأثير والتضليل: يتأرجح الحجاج لدي ماير بين "التأثير" و"التضليل" فالذوات المحاججة تستعمل الحجج كمسلك يقودها إلى تحقيق الرغبات والميولات المخفية حتى وإن حقق وظيفته التأثيرية أو التضليلية، لذلك يتوقف الحجاج على طبيعة المصالح المشتركة بين الناس وعلى بافتراضاتهم وموحتهم وما به تتجسد كل هذه الغايات.

تُظهر ثنائيات الأقوال الحجاجية مآخذ الحجج التساؤلي وأبعاده الإيديولوجية، كما يلي:

- إنّ الأقوال وهي طرح الأسئلة لا تغيب عنها الأجوبة المتوقعة، وهذا مخادع للغاية.
- يعمل الحجاج التساؤلي التفاوضي على دفع المختلف لبيدو مشتركا، أو تأجيج التناقض وتعميق الاعتراض. وبالتالي، فهو يُلغي خصوصية (هوية) الذوات المتخاصمة ويخلق بؤر التوتر.
- تؤمن نظرية المساءلة بعدم وجود ذوات متعالية بل أفراد مختلفون متنافسون أو منسجمون، ولكنهم في كل الأحوال ملزمون على التفاوض حول اختلافاتهم للعيش المشترك حتى وإن كانت حقوق بعضهم مهضومة على حساب بعضهم الآخر.
- إنّ الخطابة كانت دائما لقاء بين البشر واللغة خلال عرض اختلافاتهم وهوياتهم إلا أنّ الغموض يكمن في عدم تحديد موضوع المواجهة مسبقا.
- يبدو الحجاج بوصفه مساءلة هو البديل الإنساني عن العنف والمنفذ الأمثل لتحمل المتبادل في حين العكس.
- الحجاج هو المقياس المختبر لمدى الاستعداد للقبول بالآخر، وبمغايرته للذات وهذا من صميم فلسفة ما بعد الحداثة التقويضية.

خاتمة:

- توصّلنا في دراستنا للموضوع الجديد القديم الذي يؤلّف بين الحجج ونظرية المساءلة في حلّة فلسفية معاصرة إلى النتائج الآتية:
- فلسفة المساءلة هي فن صياغة الأسئلة التي لا تعرف لها أجوبة ما قبلية يهدف بها ماير لإقامة نظرية حجاجية أساسها فكرة التساؤل والمساءلة.
 - انطلق ماير في مشروعه الفلسفي من أزمة العقلانية الأوروبية المتجسّدة في موت الذات الديكارتية وتراجع السؤال في الفكر الغربي إلى مواضع خفية.
 - تتمثّل الدوافع المعرفية لنظرية ماير في الطبيعة التساؤلية للتفكير الإنساني وعد السؤال أصل المعنى والطابع التساؤلي للغة.
 - يقوم المنهج التساؤلي لدى ماير على الافتراضات القولية والمفارقات الإشكالية.

- يرتبط مفهوم الحجاج في نظرية المساءلة بالاستجابة للمساءلة ومفاوضة المسافة بين الدّوات المتصارعة.
- يتكأ الحجاج التّساؤلي على ركني: الصّور الخطائيّة والتّقنيّات الخطائيّة.
- يتألّف القول الحجاجي من مقابلات ثنائيّة متعاكسة، وهي: الافتراض واليقين، التّكرار والخلق، التّأثير والتّضليل.

المصادر والمراجع:

DE LA PROBLEMATOLOGIE, philosophie? science et langage 1986 bruxelles

Michel MEYER. (1993). *Question de Rhétorique, langage, raison et séduction*. paris: librairie Générale française.

أرسطو. (1950). *الخطابة*. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.

جميل حمداوي. (2019). *الفلسفة والأسئلة الكبرى عند ميشال ماير*. المغرب: دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني.

شاييم بيرمان. (2020). *الإمبراطورية الخطابية (صناعة الخطابة والحجاج)*. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

عادل عبد اللطيف. (2013). *بلاغة الإقناع في المناظرة*. لبنان: منشورات ضفاف.

عبد السلام عشير. (2006). *عندما نتواصل نتغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج)*. المغرب: أفريقيا الشرق.

فليب بروتون، وجيل جوتييه. (2014). *تاريخ نظريات الحجاج*. السعودية: مركز النشر العلمي.

محمد سالم محمد الأمين الطلبة. (2008). *الحجاج في البلاغة المعاصرة (بحث في بلاغة النقد المعاصر)*. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

محمد علي القارصي. (2011). *البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ماير، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية (من أرسطو إلى*

اليوم). تونس: جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس 1، كلية الآداب منوبة.

ميشال ماير. (أوت، 2020). *الإشكالية*. (كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة مولاي الطاهر سعيدة، المحرر) 12 (02)، صفحة 324.